

الزرقاوي آمال وآلام

(مناصرة ومناصحة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائد
المجاهدين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.. وبعد:

فقد لقيت أبا مصعب لأول مرة في بيشاور لقاءً عابراً
في بيت الأخ أبي الوليد الأنصاري حفظه الله.. وكان ذلك
في أوائل التسعينيات ولم أكن أعرفه من قبل فقد كان
قدومي للأردن حديثاً، ثم لما عاد من أفغانستان زارني في
بيتي يتشوق لنصرة التوحيد والدعوة إلى الله؛ وكان أبو
الوليد هو الذي أعطاه عنواني في الأردن ونصحني بالاتصال
بـي إن أراد العمل لدين الله في الأردن، كان هذا قبل قرابة
الأربعة عشر عاماً..

فتعاوننا سوياً في هذا المجال ورتبت دروساً في مناطق
شنتي من البلد، وقمنا بطباعة بعض كتاباتي ونشرها بين
الناس، وبدأ الشباب بالالتفاف حول هذه الدعوة وتداولوا
كتاباتها ورسائلها، وتنهت الأجهزة الأمنية لذلك فداهمت
منازلنا في أوقات متفاوتة وبدأت عملية المطاردة
والاعتقال، فاعتقلنا تبعاً ومكثنا في زنازن دائرة
المخابرات فترات أقلها ستة شهور، كانت بالنسبة لأكثرنا
التجربة الأولى في وجه أعداء الله في هذا البلد، فاخترت
الصدع بعقيدتي وعدم الأخذ بالتقية فواجهتهم وصارحتهم
بكفرهم وكفر أسيادهم وطواغيتهم في الزنازين ومكاتب
التحقيق ابتداءً، وبعد ذلك في المحاكم والسجون، جنباً إلى
جنب مع أبي مصعب وطائفة من الشباب ممن تأثروا
بدعوتي وكتاباتي.

وكان أن نُقلنا من الزنازين الانفرادية إلى السجون العامة
لبداء المحاكمات، فعزلوني - كوني صُنفت المتهم الأول -
في سجن في شمال البلاد، ووضع أبو مصعب كونه كان
المتهم الثاني في سجن في وسطها، ووضع باقي إخواننا
جميعاً في سجن في جنوبها.. ثم كان أن جمعونا بعد أشهر
في سجن الجنوب (سجن سواق)، واختارني الإخوة
للإمارة، فمكثت أميراً على كره مني قرابة السنة، رأيت
أنها مشغلة لي، وأثرت التفرغ لطلب العلم والكتابة

والتدريس، خصوصاً وأن نوعية تلك المجموعة من الشباب التي كانت تشاركنا الحبس والبلاء كانت من حديثي العهد بالدعوة وأحوج ما يكونوا إلى العلم والفهم والفقه.. فأتخذت قراراً - بعد أن أقنعت عموم الشباب - اخترت فيه بنفسني أن أترك الإمارة وأن أستخلف أبا مصعب عليها، وليس الأمر كما جأول بعض الكتاب السخفاء إظهاره على أنه كان خصومة أو نزاعاً على الإمارة! وكأنها كانت إمارة دولة! فقد كانت إمارة سجن قاصرة محدودة لتصرف أمور الإخوة والتأليف بينهم وترتيب أحوالهم وتوحيد سياسة التعامل مع إدارة السجن.. ولم يكن يتجاوز عدد أفراد تلك الإمارة في أقصى حد بلغوه الثلاثين. وكانوا في غالب مدة سجننا لا يتعدون نصف هذا العدد.. وعندما وليته أمر الإمارة لم أتخل عنه بل وقفت إلى جنبه في وجه أعداء الله وتوليت أمر خطابة الجمعة والأعياد وتدريس الشباب، ولم أكن أبخل عليه بالمشورة والوقوف في صفه في وجه بعض المخالفين له أو الشاذين الطاعنين في إمرته، ولم أَلْ جهداً في بذل المعونة والنصح له، فهذا كان ما اشترطه علي يوم قبل أن يخلفني في الإمارة..

ووقف هو إلى جنبي في الدعوة إلى الله صادعاً محتسباً متحمساً لكل ما أكتب في نصرة التوحيد والبراءة من الشرك والتنديد، ولم يكن بيننا أي خلاف في الاعتقاد أو لتأصيل الشرعي فقد كان يصدر عن ذات المشكاة التي أصدر عنها ويحب كتاباتي ويفرح بها وينصرها ويدعو من يعرف من الشباب في السجن وخارجه إلى نسخها وقراءتها ونشرها وتوزيعها..

مضت فترة المحاكمات بفضل الله طيبة نجحنا في توظيفها بتوفيق الله في إظهار دعوتنا وإعلان تكفيرنا للنظام وبراءتنا من قوانينه، فكنا نعلن ذلك صراحة في قفص المحكمة أمام الصحافيين وغيرهم من الحضور من خلال خطب نصدع بها وكلمات نعلنها، وأعددت لائحة اتهام خاطبت بها رئيس المحكمة وطواغيته ودولته؛ سلمتها له يوم أن سألني:

أمذنب أم لا؟

فأجبتة أنا وإخواني بقولنا: أنتم المذنبون؛ عطلتم شرع الله وحكمتكم بغير ما أنزل الله وواليتم اليهود وحاربتهم المجاهدين والموحدين.. وبينت له في لائحة اتهامه هو ونظامه التي سميتها (محاكمة محكمة أمن الدولة وقضاتها

إلى شرع الله) بينت له بعض الأدلة على كفره وكفر نظامه وصرحت ببراءتي أنا وإخواني من محاكمهم وقوانينهم وطلواغيتهم ودولتهم.. وكان أبو مصعب وسائر إخواننا المتهمين بالقضية حاضرين مشاركين في ذلك كله، تقرر أعينهم به وترفع معنوياتهم له، ويستشعرون بركات هذا البلاء على دعوتنا وتسبدهم الثمرات التي كنا نقطفها كل يوم في حبسنا الذي أراد أعداء الله من خلاله كتم هذه الدعوة وإخراستها، فأنقلب السحر على الساحر، وصار السجن والمحاكمات بفضل الله وتوقيقه منبرا وأداة لنشر الدعوة وإعلانها وإظهارها، وانقلبت المحنة إلى منحة..

{وأرادوا به كيذا فجعلناهم الأخسرين}

كانت أباماً مباركة اشتغلنا فيها بطلب العلم والدعوة إلى الله في السجن بين العساكر والضباط والمسؤولين الذين كانوا يزورون السجن في بعض الأحيان، ومع سائر النزلاء والمسجونين الذين كانوا يتداولون ما أكتب وينسخونه، ويصلون معنا ويحضرون خطب الجمعة والأعياد التي كنت غالباً ما أتولاها، ويسر الله لي فكتبت خلال فترة سجنني الكثير من الكتابات والمؤلفات التي أثمرت بفضل الله تعالى هذا الخير المبعوث هنا وهناك، أسأل الله تعالى الإخلاص والقبول وحسن الختام..

وشعر النظام بخطر انتشار هذه الدعوة بين عموم السجناء وخطر نفوذها من وراء القضبان إلى خارج السجن وانتشار كتاباتي وطباعتها وأنا لا زلت أرسف في قيودي، فحاولوا عزلنا أولاً عن سائر السجناء فضيقوا عليهم ومنعواهم من الصلاة معنا وعوقب كل من يتصل بنا أو حتى يسلم علينا، ثم عزلونا عنهم كلياً في مهاجع مخصصة لنا لا يدخلها علينا أحد، ثم قاموا بتقليلنا بين سجون مختلفة مخصصة لنا، كان آخرها سجن الجفر الصحراوي الحدودي الذي حاولوا فيه عزلنا عن العالم كله، ولم يفلحوا في ذلك؛ فقد كانوا في كل مرة يقربوننا ويسهلون اتصالنا بطائفة من إخواننا؛ كما حصل حين نقلونا إلى سجن السلط فقد سهّلوا على إخواننا من شباب السلط زيارتنا بعد أن كانوا يتجشمون المسافة إلى سجن سواقة، فسهّل ذلك الانتقال اتصالنا بهم، وحين نقلونا إلى سجن الجفر قربونا إلى مدينة معان وسهّلوا علينا الاتصال بإخواننا هناك والتعرف بأناس جدد من أهالي معان.. وهكذا كلما سدوا باباً فتح الله لنا أبواباً.. هذا غير ما كان الله يبسره لنا في كل سجن جديد من وسائل إخراج الرسائل والمؤلفات وإدخال بعض الكتب

والمراجع التي تتيسر لنا.. {ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين} وهكذا حالتنا معهم دوما هم يضيقون
والله يوسع وهم لا يشعرون..

وكما هو جار بفضل الله معي إلى الساعة؛ فإنهم
يودعونني السجن كل مدة سنة أو سنتين بغير جريرة إلا
أظهاري لديني وتوحيدي ودعوتي التي من أهم أركانها
إعلاني تكفير الطواغيت وبراءتي منهم ومن أسيادهم
والتحريض على ذلك، وانحيازي ونصرتي للمجاهدين
المقارعين لأسيادهم الأمريكان في كل مكان.. هذه هي
جريمتي التي أسجن عليها بين الحين والحين..

يفعلون ذلك ظناً منهم أن السجن سيوهن هذه الدعوة أو
سيطفيئ وهجها، وما دروا - لغبائهم - أن السجن والبلاء لا
يزيدها إلا توهجاً وانتشاراً، وقد جعله الله سبحانه محطات
استفادة وإفادة لإخواني في السجن وخارجه، وفتح لنا فيه
فتوحات لو يعلمها أعداء الله ما سجنونا للحظة، فالحمد لله
على كرمه وإنعامه..

{يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى
الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}

ثم فرج الله عنا بمنه وكرمه، فأثرت أنا البقاء في البلد
لمتابعة ورعاية الدعوة التي بدأناها، وكلني أمل أن أنقلها
غرباً عبر النهر فلي هناك آمال وطموحات..

وآثر أبو مصعب قطع ذلك والسفر إلى أفغانستان، ولم
يكن ذلك ليعجيني خصوصاً مع تحفظاتي آنذاك على
الأوضاع هناك، أما هو فقد كان متحمساً لذلك ويحث كل
من يعرف عليه، وإن يك المني العمل على تفريغ الساحة
من الشباب الموحد، فلم يؤلمني صنيع أبي مصعب بقدر ما
المني صنيع أبي عبد الرحمن - رائد خريسات حين خرج هو
الآخر مع طائفة أخرى من إخواننا من شباب السلط إلى
أفغانستان فکردستان حيث قضى نحبه هناك هو وطائفة
من إخواننا في قتالهم لتحالف الشمال الكردي وذلك بعد
أن قطع شوطاً في الدعوة وإنشاء معسكرات تدريب
وإعداد..

آلمني صنيع رائد رحمه الله لأنه كان رائداً أو رأساً في الدعوة إلى الله في بلده وشعلة متوقدة بين الشباب وشوكة وشجى في خلوق أهل البدع. وكنت أعقد عليه آمالا في الدعوة إلى الله.

أما أخونا أبو مصعب فكان يقول لمن يعتب عليه الهجرة من البلد: انه رجل يحب الجهاد ولا صبر له على طلب العلم وتدريسه والدعوة إلى الله، فاستنفر هو الآخر طائفة من إخواننا معه إلى أفغانستان حيث استفادوا من ظروف البلد ومعسكراتها..

ولكنها كانت استفادة مكشوفة لمخابرات بلادنا لاختلالات تنظيمية قاتلة كانت تبلغني وأتألم لها وأحاول جاهداً مناصحتهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً..

وبلغني أن أبا مصعب ومن معه من الشباب امتنعوا عن القتال مع الطالبان لما عاينوا أشياء كنت أتحفظ بسبب بعضها على الأوضاع هناك ولا أتحمس للسفر الذي تحمس له غيري، فعاينت تلك الأشياء بعين البصيرة في وقت مبكر دون أن أتجشم تلك المسافات التي قطعوها كي يعاينوها بعين البصر، مع أنها أشياء كانت معلومة تتناقلها وكالات الأنباء والصحافة وسمعنا بعضها من خلال جهاز الراديو قبل أن يفرج عناء ومع ذلك فقد كان الحماس والخروج من تحت ضغط أعداء الله هو المحفز الذي أعان على غض الطرف عن تلكم الأشياء أولاً، ولا أدري ما الذي ضخمها وجعلها موانع للقتال في صفهم فيما بعد، مع أن الأصول تقتضي غير ذلك..

وكانت تبلغني أخبار الإخوة تبعاً من اعتقال أو تقلب وإنتقال أو رجوع إلى الأردن وغير ذلك مما كان يبلغني فاتحسر معه على تبعثر جهد إخواني وتفرقهم وتشتت طاقاتهم في الأقطار بين أفغانستان وكردستان ثم باكستان وإيران والعراق..

واعتقال طائفة منهم في الباكستان وطائفة أخرى في إيران وطائفة ثالثة في كردستان والعراق..

وأتألم على ما آل حالهم إليه بسبب العمل من غير برنامج واضح، والتنطط من جهة إلى جهة بحسب الظروف وتقلبها لا بحسب استراتيجية واضحة وخطة مسبقة..

وكنت أتابع تلقف المخابرات في الأردن للعائدين منهم كمصادر غزيرة للمعلومات كانت تغنيهم حقيقة عن تكلف بث العيون والجواسيس هنا وهناك..

كانوا يتابعون من خلالها التفاصيل الدقيقة لأخبار الشباب بصورة مفصلة في أفغانستان وكردستان وتفصيل نشاطاتهم ومعسكراتهم ومساكنهم وعناوين إقامتهم وكناهم الجديدة، ولقد كنت أصدم بهذه المعلومات المفصلة وأتألم لها عندما كنت أواجه بها من المخابرات حين كنت أحاول التموه على إخواني قدر الإمكان فكنت أعرف من تحقیقاتهم معلومات مفصلة عن الشباب أسمعها لأول مرة، فإذا تثبت منها بعد الإفراج عني وجدتها كما قبلت لي، وليس ذلك قطعاً من فطنة أعداء الله ولا من ذكائهم، وخسئوا من أن يعلموا الغيب، ولكنه من تهلهل أوضاع الشباب التنظيمية وتفريطهم الأمني القاتل..

وناصحت بعضهم في أشياء من ذلك، وراسلتهم، وكلفني ذلك من أذى أعداء الله وغيرهم ما احتسبه عند الله، وتحملته شفقة وحرصاً على إخواني وجهودهم وطاقتهم أن يتسلط عليها أعداء الله ويحبطوها، وكنت أتألم من السطحية العجبية في تعاملهم مع المسائل التنظيمية والعسكرية وضحالة التجارب وتخطيها والتي تسببت بأحباط عدة محاولات لأبي مصعب من العمل التنظيمي الذي سعى في إقامته في الأردن، وما ترتب على تلك المحاولات (غير الناجحة) من جرجرة مجموعات من الشباب إلى السجون في ثلاث محاولات حتى الآن بلغت أحكام بعضهم إلى الإعدام على (لا شيء) عملوه، هذا غير ما غنمه أعداء الله في التجريبتين الأخيرتين من أموال طائلة؛ المسلمون ودعوتهم وجهادهم في أمس الحاجة إليها.. كنت أتابع هذا وأناصح أهله أحياناً ولكن..

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وكنت أتألم لذلك وأتوقع لانتقال الاختلالات التنظيمية والتهلهل الأمني من أفغانستان إلى التجارب المحلية عندنا من خلال اختيارات لأبي مصعب لم تكن موفقة؛ وذلك باختيار أشخاص يفتقرون إلى أدنى شروط العمل التنظيمي وخبراته، ورغم وفرة الإمكانيات المالية التي كنا نتألم ونصدم بمصادرة أعداء الله لها بعد إحباط كل عمل؛ فلم يستثمرها المعنيون في عمل مفيد للأمة والجهاد بل

ولا حتى في الأخذ بالاحتياطات الأمنية التي تتناسب مع الطموحات والآمال، وهذه أمور لا أتكلم عنها رجماً بالغيب؛ فقد عاينتها بنفسي عند إحباط تلك التجارب والأعمال القصيرة وعانيت أحوال أهلها وتفاصيل تخليطهم حين سحنت معهم وكنت قد ناصحتهم بأشياء من قبل كنت غير مطلع على تفاصيلها ولكنني كنت أفرسها وأتوسمها فتقع بعد ذلك كما كنت أتوقع وأتخوف..

وغالباً ما كنت أجر معهم إلى السجن بسبب تلك المناصحة أو بسبب خيابة أولئك الشباب لكتاباتي أو معرفة بعضهم بي واعترافهم بذلك دون أن يربطني بهم رابط تنظيمي ودون أن يطلعوني على شيء من ذلك، ولكنني كنت أرى وأفرس نتائجها بمقدماتها من خلال خبرتي وتجاربي في مجال العمل الدعوي والتنظيمي والتي لم يستفيدوا منها حين ناصحت بعضهم، نعم استفادوا من كتاباتي وأيضاً من اسمي واستظلوا "بمشيختي" وأشياء أخرى يحزن ذكر تفاصيلها ويؤلم المؤمنين ويقر أعين أعداء الدين، ما كنت لأزعج منها أو أتألم لها لو كان عملهم سديداً كيساً متقناً.. أعرض عن ذكرها هاهنا..

بعد سقوط أفغانستان تبعثر الإخوة بين باكستان وإيران واعتقلت طائفة منهم في الباكستان وأخرى في إيران بينما قتل بعضهم في أفغانستان على أيدي تحالف الشمال العميل، وتوجه أبو مصعب إلى كردستان التي لم تكن يوماً في برنامجهم ولم يتوافق مع الشيخ رائد خريسات رحمه الله عليها وكان أبو عبد الرحمن قد استقر به المقام بها مدة وأنشأ معسكرات وأعد وربي هناك رجالاً وترك أثراً ظاهراً للعيان ثم قتل هو ومجموعة من إخواننا هناك رحمهم الله وأسكنهم الفردوس الأعلى في مواجهات مع تحالف الشمال الكردي العميل..

فالتفت طائفة ممن تبقى من هؤلاء الرجال حول أبي مصعب وكان بعضهم قد اكتسب خبرات طيبة في فنون عسكرية كثيرة خصوصاً في مجال المتفجرات.. فكان هؤلاء الشباب عوناً وسنداً لأبي مصعب في العراق بعد أن تبعثر أكثر الشباب الذين كانوا معه في أفغانستان ما بين قتل ومعتقل وطريد بين باكستان وإيران والأردن..

ثم ما لبث أن لحق به آخرون من الأردن وغيرها، والتحق به أبو أنس الشامي ففرحت بذلك لمعرفتي بحاجة أبي مصعب الماسة إلى طالب علم يقف إلى جنبه، وحاجته إلى التذكير والمناصحة مع المناصرة والتأييد على بصيرة وسط هذه الأحوال المعقدة في العراق ووسط الحرب المعلنة عليه وعلى كل مجاهد، وذلك من الأسباب التي دعتني إلى المبادرة بكتابة هذه الكلمات..

ولكني رجل بفضل الله قد نجذنتي التجارب وعلمتني الأيام والابتلاءات فلا أهجم متحمساً ولا أتكعكع متلئناً، وأحافظ على توازني ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.. الشيء الذي يجعلني أضمن هذه الكلمات إضافة إلى صريح وقوفي إلى جنب أخي أبي مصعب ضد كل من عاداه وناواه من الطواغيت وأسيادهم وعلماء السوء وأذنابهم؛ أضمنها إضافة إلى ذلك مناصحة وتذكيراً لا بد منها له ولغيره من المجاهدين.. فإن أخذ بها فإن ذلك يسعدني ويقر عيني وينعش آمالي.. وإن رفضها وردّها فذلك وإن كان يحزنني ويؤلمني إلا أنه واجبي له وللإخوة المجاهدين أكون قد أسديته..

وأبدأ ذلك بتأكيد ما ذكرته في هذه الشجون والذكريات..

* فأبو مصعب الزرقاوي على ما نعتقد من عقيدة أهل السنة والجماعة، وما ننتهجه في دعوتنا إلى التوحيد من إظهار وإعلان ملة إبراهيم والبراءة من الطواغيت وأنصارهم وتكفيرهم..

وهو يفرّق كما نفرق بين من نكفروهم من أنصارهم الذين يتولونهم على شركهم أو يظاهرونهم على الموحدين، وبين غيرهم ممن قد يعينونهم على منكر أو يداهنونهم على باطل لا يصل إلى حد الكفر فلا يكفر أمثال هؤلاء كما لا نكفروهم، فضلاً عن سائر الناس المنتسبين للإسلام؛ فإن عقيدته وعقيدتنا فيهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة لا نكفر مسلماً بذنب غير مكفر ما لم يستحلّه، وهو يحرص دوماً إن شاء الله على التزام ذلك هو ومن معه من الشباب.

* ومن ثم فأبو مصعب يعتقد ما نعتقد تجاه عوام المنتسبين للإسلام في سائر بلاد المسلمين من العصمة

لدمائهم وأعراضهم وأموالهم، ولا أتخيل بحال أن يتقصد أو يتعمد أن يلحق الأذى بنفس مسلم أو ماله أو عرضه؛ بل أعرف أنه على الاستعداد لأن يبذل روحه ودمه وماله ومهجته في سبيل نصرة إخوانه المسلمين وإخراجهم من ظلم وظلمات الطواغيت إلى نور وعدل الإسلام.. والأمر ليس كما حاول أعداء الله تصويره كذبا وزورا في إعلامهم من أنه استهدف آلاف المدنيين في بلده بسلاح كيماوي.. فذلك كله محض كذب وزور مكشوف لا ينفق ولا يروج على أحد، دفعهم إليه حقدهم الأسود على كل مجاهد غير على دينه وأمته، كما دفعهم إليه إخلاصهم لأوليائهم الأمريكان الذين يتغيظون من كل مجاهد يشمخ بهامته أمام جبروتهم ويأبى الإنبطاح لسياساتهم والانسحاق تحت أحذيتهم كما يفعل أذناهم..

* وحتى من الناحية الفقهية العملية فأنا أعلم أن الرجل - وإن لم يكن ذلك الطالب المتقدم في العلم - إلا أنه قد أتم حفظ كتاب الله في السجن و يتحرى الحق وهو ضالته يبحث عنه ويتبناه حيث وجده لينصره بالغالي والنفيس، ولذلك كان دوماً يوم كنا في السجن لثقتنا في عقيدتي وكتاباتي واختياراتي لا يصدر في غالب أمره إلا عن مشورتي واستفتائي حبا لهذه الدعوة وولاء للتوحيد وملة إبراهيم التي ننصرها وندعوا إليها..

ولذلك ولغيره لم أفاجا كثيراً حين بلغني أنه سمي جماعته المقاتلة في العراق - دون أدنى تنسيق معي أو مراجعة لي - (بجماعة التوحيد والجهاد) وذلك مضاهاةً والتصاقاً بموقعي على الإنترنت المسمى بمنبر التوحيد والجهاد منذ سنين.. فاسأل الله تعالى أن يحمل المسمى بصورته المشرقة كما حمل الاسم..

* لقد فرحت وانتعشت آمالي بقدر حين علمت بتقريبه لأبي أنس رغم أن الرجل لم يكن يتبنى اختياراتنا بحذافيرها وهي مرونة من أبي مصعب أفرحتني بعد أن كان افتقاره إليها من قبل قد حرمه الاندماج في القاعدة والنزول تحت إمرة الشيخ أسامة حفظه الله تعالى..

فأرجو أن يكون ذلك منه تصحيحاً لهذا الأمر ووسطية لا حاجة واضطراباً، فإن من المقرر عند أهل السنة والجماعة جواز القتال والتعاون مع الأمراء الفجار فكيف بما هو دون ذلك مما يسع فيه الاختلاف والاجتهاد..

* وأعطف على هذا بشيء يقابله وهو أن لا يكون ميزان التقريب والإقصاء على قدر وكمية الولاء والتعلق به أو الموافقة والموافقة وعدم المخالفة والمراجعة.. فهذا ميزان متارجح مضطرب غير متزن وكم قرب هذا الميزان أناساً جهالاً لا يصلحون لكثير من الأعمال والمهمات التي أوكلت إليهم، وغض الطرف عن شذوذاتهم وانحرافاتهم التي عايناهم وصدمننا بها مراراً..

وأقصى في الوقت نفسه اختياراً أكياساً يعدل الواحد منهم العشيرة والقبيلة فوا أسفاه على عدم الاستفادة منهم.

* إن سذاجة ومحدودية تجربة قيادة مجموعة صغيرة في السحن لا يجوز أن تنتقل بسطحيتها وسذاجتها إلى العمل التنظيمي المسلح، فقد عاينا الثمن الباهظ لذلك في فقد إخوة أعزة سواء بالقتل أو التأييد في السحن، هذا غير الخسائر المادية الطائلة التي أهدرت في تلك التجارب المتعجلة..

* فصدق النية وحب الدين والورع والإخلاص والعاطفة والحماس كل ذلك لا يكفي وحده لإثراء التجربة والارتقاء بالعمل التنظيمي، ولا يغني بحال عن الاستعانة بذوي الخبرة والفتنة والتجربة والمعرفة، فحذار من الاغترار أو الاكتفاء بالتجربة الهزيلة أو القصيرة، والزهد بخبراتهم لمجرد أن لا يكونوا من أهل الموافقة والموافقة على كل شيء..

* كما أنني أعرف من أبي مصعب أنه لا يتنازل عن شيء من عقيدته أو توحيده الذي يدين الله به، ولا يفرط في شيء منه ولا تأخذه فيه لومة لائم ولا يتضرر في هذا الأمر بضغط أو مخالفة أحد؛ فارجو أيضاً وأسأل الله تعالى أن لا يتضرر أيضاً في اختياراته الجهادية والقتالية، بسبب ضغط الأعداء وبسبب بطشهم وإجرامهم.. فيبقى على الجادة في أعماله واختياراته لا يضره من خالفه ولا من خذله فلا يميل إلى إفراط أو تفريط..

* فما دام لا يكفر الناس بالعموم ولا يكفرهم بالمعاصي ولله الحمد، ويعلم أن جمهور الناس في هذه البلاد التي نعيش فيها ينتسبون إلى الإسلام؛ فيجب عليه مراعاة ذلك في اختياراته القتالية، ويجب عليه التشديد في التحرز من سفك دماء المسلمين ولو كانوا فجاراً أو عصاة وأن يتنبه

إلى الفوارق الظاهرة بين القتال في دار الكفر الأصلية
التي جمهور أهلها كفار، والقتال في دار الكفر الاصطناعية
الحادثة التي جمهور أهلها من المنتسبين للإسلام ومراعاة
تلك الفوارق..

وحذار من التساهل فيما اعتدنا على التشديد فيه من
عصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ولو كانوا
عصاة أو فجاراً فإن دماء المعصومين ورطة من الورطات
يوم القيامة..

وقد درسنا ودرّسنا في أبواب الاعتقاد أن استباحة دماء
المسلمين خطر عظيم والخطأ في ترك ألف كافر، أهون
من الخطأ في سفك قطرات من دم مسلم واحد..

فيجب التنبه لهذا وحذار من إغفاله طرفة عين..

أقول هذا وأؤكد عليه وأنا أسمع وأتابع الفوضى العارمة
الحاصلة اليوم في العراق والتي يراد بها تشويه الجهاد
وصورته المشرقة من تفجير السيارات أو وضع العبوات
الناسفة في طرقات العامة وقذف قذائف الهاون ونحوها
في الشوارع والأسواق وغيرها من تجمعات عوام
المسلمين فيجب المحافظة على أيدي المجاهدين
المتوضئة من أن تتلطخ بشيء من دماء المعصومين ولو
كانوا عصاة أو فجاراً وإذا كانت الجماعة المقاتلة نظيفة
من ذلك وبمناى عنه فالواجب عليها إن كانت تحترم جهادها
 وجهود أتباعها وتحرص على قطف ثمرات من وراء تلك
الجهود وذلك الجهاد أن لا ترضى بنسبة شيء من ذلك
إليها، وأن يواكب جهادها دوماً لسان ناضج ناطق يذب عن
المجاهدين ويبرئ ساحتهم من هذه الأعمال المشوهة أولاً
بأول..

* ومما يجدر التحذير منه في باب التضرب بالواقع؛
التورط في اختيار وسائل غير مشروعة أو وسائل وأدوات
مخالفة للاختيارات الصحيحة الراجعة عند المجاهد، أو
التوسع بها كردود أفعال على إجرام الطواغيت.. كأن
يتجاوز المقاتل الحدود الشرعية بتقصد خطف أو قتل بعض
المنتسبين للإسلام بمسوغات غير شرعية كدعاوى العمل
عند الكفار أعمالاً لا تصل إلى المناصرة على الكفر أو
المظاهرة على المسلمين..

أو التجاوز والتعدي بتقصيد قتل أو خطف من لا يحل قتله من نساء وأطفال بغض الأعداء، سواء لعصمة أولئك النساء والأطفال بالإسلام، أو عصمتهم بالأنوثة والطفولة..

ومثل ذلك التساهل بالأعمال التي يسميها الناس انتحارية ويسميها البعض استشهادية ونسميها نحن بضوابط علمائنا المحققين جهادية، فلا ينبغي غرض الطرف عما اشترطه علماءنا المحققون من شروط مهمة قد اعتمدوا في تجويزها وقايسوها على مسألة الترس، ومعلوم ما قرروه لهذه المسألة من ضوابط وقيود لا يجوز التحرر منها أو التساهل فيها سواء لوفرة من يقدم على تنفيذها، أو لوفرة المتفجرات من مخلفات النظام البائد أو لظروف البلد المواتية لمثل هذا العمل أو ذاك.. أو غير ذلك من الأسباب.. فمعلوم أنها وسيلة إنما يلجأ إليها المجاهد عند الضرورات فحذار من أن يتوسع فيها وتنقلب إلى وسيلة قتالية تقليدية، فضلا عن أن تنقلب إلى غاية وهدف..

* إن دعوة التوحيد وملة إبراهيم التي ندعوا إليها ليست كأي دعوة أصلحية؛ ترقيعية، بل هي دعوة تغييرية استئنائية للطواغيت وشركهم، حرب على أوليائهم، تقوم على تجريد الولاء والبراء والحب والبغض والموالاة والمعاداة وهي لهذه الأركان لا تربي بغايات أو تخرج دراويشا بل تربي صقورا وتخرج أسودا وسباعا إن لم يضبطوا بضوابط الشرع ويربوا على تعظيم حرمة المسلمين ودمائهم ويقيّدوا بقيود العلم والفقه في السياسة الشرعية لمراعاة أعظم المصالح ومداقة أعظم المفاسد واختيار أنفع وأصلح الأعمال ومراعاة واقع الأمة وإمكانات أبنائها وطبيعة المرحلة، أقول، إن لم يراعى ذلك كله فيهم، فسيثبون إلى القتال دون ضوابط وسيخرجون على الأمة لا يميزون بين برها وفاجرها ولا يوازنون بين مصالحها ومفاسدها. وتجارب بعض الجماعات المتطرفة المغالية ما زالت ماثلة للعيان، فحذار من اجترارها.. فليتذكر كل مجاهد أننا أبناء دين عظيم؛ جهاده وغاياته ووسائله أنظف وأظهر وأعلى وأجل من أن تضاهي أو تحاكي أعمال عصابات المافيا التي تبرر الغايات عندهم الوسائل، ولا يزعهم وازع من إيمان أو يضبطهم ضابط من شرع.

* لأن رأس المال قليل شحيح؛ سواء في المجاهدين المخلصين الناضجين أو في الأموال والإمكانات؛ فلا يحل لمن يحترم إمكانات المجاهدين ويراعي ظروف الأمة وأحوال المسلمين والدعاة والمجاهدين في شتى أقطار

الأرض الأحرار منهم والمعتقلين، لا يحل له أن يقامر أو يتساهل في هدر تلكم الإمكانيات، فسيسال عنها بين يدي الله، كيف وهو موقوف مسئّل عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه وماله فيما أنفقه، فالسؤال سيكون أشد عن عمر وشباب وأموال المجاهدين والمسلمين إن تولى أمرهم..

ولذلك يتعين عليه أن لا يختار من الأعمال إلا الأنفع لدين الله والأحطى للمسلمين وعزهم وتمكينهم والانكى في أعداء الله والأقطع لكفرهم وباطلهم.. ولا مجال للتجريب والمقامرة في دماء المجاهدين وأموال المسلمين..

* ولذلك فحذار أيضاً من تشتيت دائرة الصراع والخروج بها عن المحتل وأذنبه الموالين له.. وحذار من توسيع تلك الدائرة أيضاً فيما لا طائل من ورائه وتضييع جهد المجاهدين بذلك.

- سواء بالتورط بمشاريع غير ناجحة في بلدان خارج نطاق تواجد المجاهدين وإمكاناتهم لا ثمرة أنية منها غير الأعمال الثارية أو النكائية تذعر الناس بل والعالم كله على المجاهدين وتدفعه إلى المزيد من التائب والتكالب عليهم وتستغل في خلط الأوراق وتشويه المجاهدين..

- أو باستهداف غير المقاتلين من أبناء الشعب ولو كانوا كفاراً أو من النصاري فضلاً عن التورط في استهداف كنائسهم وأماكن عبادتهم ونحوها..

- أو الإنجرار وراء استهداف عموم الشيعة وحرف المعركة عن المحتل وأذنبه وصرفها إلى مساجد الشيعة ونحوهم مهما كان تاريخهم وعداوتهم لأهل السنة وأذاهم لهم، فلا يجوز أن يجعلوا جميعاً في كفة واحدة؛ عوامهم مع خواصهم المحاربين... وعلى كل حال فإن إعلان الحرب على هذه الطوائف المحسوبة على الإسلام والمسلمين في ظل احتلال صليبي مجرم لا يفرق بين سني وشيعي ليس من السياسة الشرعية في شيء.

- أو بث التهديدات الجوفاء لدول العالم كافة هنا وهناك الأمر الذي يزيد الحرب على الإسلام توحّداً وعالمية، ويفقد المجاهدين مصداقيتهم بتكرارها عبثاً..

* ولذلك فلا بد مع الجهاد من خطاب إعلامي واع ناضج يخاطب الناس على قدر عقولهم ويحدثهم بما يعرفون ولا يتبنى شيئاً من الأعمال التي لا يستوعبها الناس أو الأعمال غير الناجحة..

وينأى بنفسه وقيادته عما يُستشع أو يشوه صورة الجهاد وينفر عنها خصوصاً مع انتشار الجهل وقلة العلم وعدم إحاطة الناس بما عند خواص المجاهدين من اختيارات فقهية فرعية.. فمراعاة ذلك من الفقه في الدين الذي من أهمله ولم يرفع به رأساً فوت على الجهاد والمجاهدين خيراً عظيماً، وبما جرّ عليهم من المفاصد ما الله به عليم، وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وهديه شاف كاف فليتأمل..

* حذار من تقزيم الجهاد وتجسيمه في القتال النكائي وحسب، أو اختزاله في ردود الأفعال الثارية فقط، وفصمه أو فصله عن مبناه العام الذي يبني الأمة ويعمل على تمكينها، وذلك بالانشغال بالوسائل وقلبيها إلى أهداف، أو بعزله عن أهل الخبرة والتجربة أو فصمه عن الدعوة ومخاصمته لأهلها.

* العراق بإجرام صدام وحزبه تأخرت فيه الصحة الإسلامية واستؤصلت في مراحل شتى؛ فأحسين ما يقدم المجاهدون لهذا البلد المنكوب إن لم تتيسر الآمال الكبيرة التي دونها ما دونها؛ أقول إن أحسن ما يقدم له من خلال جهاد نقي صافي واختيارات موفقة وخطاب إعلامي واع وناضج رأشد؛ أن يربي ويخرج من خلاله طائفة من أبناء البلد والعشائر تحمل راية التوحيد وتجاهد من حولها.. فاهل مكة كما يقال أدرى بشعابها.. وأبناء البلد عند عموم الناس أولى بالتصدر لأمورها والحديث عن همومها والبروز لتحمل مسؤولياتها.. وعدم التفات المجاهدين إلى هذا الأمر وعدم اعتبارهم له وعدم اهتمامهم بموازين القوى في البلد وطبيعتها وطبيعة أهلها ووضع الغريب عنها أولاً وأخيراً وإغفال ذلك يعد إهمالاً لسنن الواقع، وإعراضاً عن تجارب إخواننا المجاهدين في شتى البلاد..

* ولذلك قلت مراراً لا بد من تصدير العراقيين في واجهة المقاومة ولا بد من اختيار قيادة إسلامية عراقية راشدة تعرف هموم الشعب العراقي وتعرف كيف تخاطبه بخطاب واع ناضج يجعلها منارة للناس يلتفون من حولها،

وتتجنب كل ما يشوهها من أعمال مرجوحة أو اختيارات
منفرة أو مفضولة..

هذا إذا كان المجاهدون هناك يتطلعون إلى ثمرة تمكين
لجهادهم ولو على المدى البعيد.. أسأل الله تعالى أن ينصر
جنده ويمكن لعباده..

أخيراً.. قد قمت في سحني هذه المرة بكتابة (وقفات
حول ثمرات الجهاد بين الجهل في الشرع والجهل في
الواقع) ضمنيتها خلاصة نصحي للدعاة والمجاهدين، أتمنى
وأدعو الله أن يستفيد منها كل مجاهد، وأن لا يفسد
استفادته منها بتتبع من يقصد الشيخ بكذا أو من يريد بكذا..
فالامر أعظم من تتبع هذا، ولم أجعل يوماً من همي
الاشتغال في الطعن بأهل الإسلام فضلاً عن الطعن في
المجاهدين الذين نحسب فيهم الصدق والإخلاص، ومن
يتدبر تلك الوقفات يرى أن كلامي فيها عام متشعب ذو
شجون يتناول كثيراً من البلدان والميادين والتجارب ولا
يتركز كله على شخص واحد بعينه..

بل يتناول أحداثاً وتجارب مرت بالشباب أو بالمجاهدين
هنا وهناك أو طفت على السطح ولفتت أنظار الناس؛
أدليت فيها بدلوي نصحا لإخواني المجاهدين وحرصاً على
جهدهم وجهادهم أن يكون في أشرق صورة وأحسن حال،
وهذا من أعظم النصرة لهم بل هو لو فقهوا أعظم من
نصرهم بالنفس والمال، وقد قيل: (نفاذ الرأي في الحرب
أنفذ من الطعن والضرب)

أما هذه الورقات فهي وإن كنت أرجو النفع فيها لكل من
يقرأها؛ إلا أنها جاءت مناصرة ومناصرة لأخي أبي مصعب
حفظه الله تعالى وسدد على طريق الحق خطاه..

ووفقه ومن معه لنصرة التوحيد والدين الحق، وجعلهم
وإيانا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين

وكتب / أبو محمد المقدسي

منبر التوحيد والجهاد

* * *

tth
tth
tth
tth
tth